

لبنان الديمقراطي العربي العلماني

(١)

ظواهر الايديولوجيات المتخلفة

في

الوضع العربي الراهن

الديمقراطيون العلمانيون

Documentation & Research

صدر ضمن هذه السلسلة :

- ١ - ظواهر الإيديولوجيات المتخلفة في الوضع العربي .
- ٢ - مقدمات أولية حول مقولة التعددية الحضارية .
- ٣ - مقدمات أولية حول مقولة الطائفة - الطبقة .
- ٤ - الطمأنينة في أوروبا تاريخيا وحاليا .
- ٥ - الطمأنينة ومسألة بناء الوطن .

الطبعة الأولى ١٩٧٩

الطبعة الثانية ١٩٨٠

مركز البحوث

Documentation & Research

الأيديولوجيا : ان كلمة ايديولوجيا تحمل معنيين : المعنى الاول ، المستعمل غالبا ، وهو مجموعة الأفكار والتصورات والتصرفات المشتركة لدى جماعة من الناس ، سواء طائفة او حزب او طبقة او شعب . والمعنى الثاني ، هو تلك المجموعة من الأفكار والتصورات التي تنسج لدى الجماعة الميثونة في صفونها وعيائها للحقائق الواقعية ، فتتحول الى اداة حجب ، اي مجموع الاوهام والأفكار المغلوطة التي تلوي رؤية الواقع . ومن خلال السياق نلتقط اي المعنيين هو المقصود .

الأيديولوجيا العربية : ان الأيديولوجيا العربية ايديولوجيا مسئلة ، وبالتالي فهي غير مطابقة لحاجات الثورة العربية او التقدم العربي . واستلابيا اما سلفي ، وهذا ينطبق على القسم الأكبر من المتنفذين (الانجليزيسيا) العرب ، او اغترابي وهذا ينطبق على البقية الباقية تقريبا من هؤلاء المتنفذين . هذا القوات او التشويه في الأيديولوجيا العربية يمكن في أساس اخفاق النهضة العربية الثانية كلها .

لم هذا التأخر في الأيديولوجيا العربية ؟

الاسباب عديدة الا الهامة منها

١ - ان العودة الى السلفية قد تعززت عندها اخذ السلطان الغربي يفرض نفسه علينا . في مواجهة هذا الانتهاك اصبحت السلفية حصنا للدفاع عن الذات ، وبالطبع لم تكن عملية دفاع فعلية ناجحة بل ايهامية محسب .

٢ - لكن هذه الواقعة ليست كافية للتفسير . فمثلا ، كيف نقصر النزعة الجرمانية الرافضة لعصر الانوار ؟ وكيف نفسر النزعة السلافية الرافضة للتغريب ؟ وكيف نفسر موقف المنقذين الصينيين (رغم ان الصين لم تحتل من قبل دولة اخرى) السلبي من الثقافة الغربية ؟ . يمكن القول ان رد الفعل السلبي لامة تواجه اقتحاما اجنبيا فكريا هو بمثابة دفاع متأخر عن الذات ، او هو متأخر عن تأكيد الذات . وهذا الشكل المتأخر في تأكيد الذات هو واحد من اجلى تظاهرات التأخر العام للمجتمع .

٣ - حتى المثقفون العرب المنفتحون على التغريب ، نظرا لتداخل العالم ، اصبخوا محاصرين حصارا خائفا من قبل الثقافة العربية . حصار لم يشهده من قبل ، مثلا ، لا المثقفون الروس ولا الصينيون . في هذا الحصار ، ونظرا لانتقارها الى بعض المسبقات اللازمة ، ترى الثقافة العربية نفسها وسط دوامة من التيارات الفكرية الغربية المخلفة والمتخلفة . هنا يجد معظم المثقفين انفسهم امام ان يختاروا (والانتقائية هنا هي السهولة والسطحية اذ لا تحتاج الى ثقافة عميقة ولا توجهها نهائية ولا تربطها منظومة فكرية) الافكار العربية الاقرب الى الايديولوجيا السلفية ، او ان يختاروا افكارا غربية لا صلة لها بواقع شعبهم والى حلة التي يمر بها تطوره التاريخي .

بعد هذه المقدمة والتعريفات السريعة ، ارى ان الوطن العربي ، يشهد وبصورة عامة ، ومنذ وقت ، وبوتيرة وشدة متفاوتة بين قطر واخر ، سيرورة انتقال الى حقبة تاريخية يقود فيها القسم البدوي من العرب ، بوعيه المفوت ، وتأخره السياسي ، وعلاقاته الاجتماعية ما قبل القومية ، القسم غير البدوي منهم . ولقد اخذت هذه السيرورة كل زخمها واتساعها مع نزع الناصرية في مصر كمؤسسة .

شيئا فشيئا انضج ويتضح ميل تحول سيرورة نزع الاستعمار الى سيرورة نزع تأثيرات بعض الحضارة الحديثة الغربية الذي تسلل الى المجتمع العربي خلال التجربة الكولونيالية بخاصة . لاشك ان الادوات التقنية الغربية ، الاكثر قابلية للتصدير ، الخاصة بالمجتمع الاستهلاكي الغربي ، مطلوبة لدينا ، فالطبقات الطفيلية المنعمة تنهالك عليها وتستهلكها بفحش ، الا ان الوافدات الغربية الثلاث ، الاكثر تهيشلا وتميزا للحضارة الحديثة ، ونعني الدولة القومية العقلانية والديمقراطية والعلم ، تطارد وتضمر وتنحصر . عوامل هذه السيرورة كثيرة ، الذاتية منها هي الثلاثة الرئيسية التالية :

١ - اخفاق محاولة النهضة العربية الثانية ، التي تطلقت ضربة قاصمة في هزيمة حزيران .

٢ - الوعي المفوت ، التقليدي و التقليدي الجديد ، للاندلجفتسيا العربية بوجه علم والنخبة السياسية العربية بوجه خاص .

٢ - دور البترول العربي البتوي .

الا ان الحرب ضد القيم والمثل القومية الديمقراطية الحديثة لم ولن تحسم نهائيا ، رغم قوة المواقف التي تحتلها الرجعيات العربية ، سواء القديمة او الجديدة ، ورغم ان الاستبداد الشرقي يجهد لاقتراس كل روح المقاومة لدى الشعب ولاستئصال القوى التقدمية ، وبخاصة الحديثة والعقلانية ، من المجتمع العربي . لقد خسرت القوى التقدمية العربية ، بسبب تخلفها وتصور وعيها ، جولات ، لكنها لم تفسر المعركة النهائية ، في ظل التدهور الحري والبؤس القومي القائم ، ولا يمكن للرجعيات العربية ان تستمر الا اذا كسبت المعركة باستمرار . من هنا الحرب مفتوحة . والمستقبل ، ما دامت الرجعيات العربية قد قففت بالشعب العربي على منحدر قومي واخلاقي وثقافي واقتصادي ، المستقبل كما قلت ، سيتوقف على الوعي المطبق الذي يفرض ان تبلغه كتلة الانتاجات العربية ، على التنظيم والنضحية والجسارة التي يفرض ان تضبط وتنفذ نضالات الطليعة العربية .

الظاهرة الاولى في العصر الذي تسود فيه ايدولوجيا متخلفة ، تتمثل بتصفية مشروع او جنين الدولة - الامة ، (او الدولة القومية) ، والتقهقر الى مرحلة ما قبل الدولة ، اي الى الدولة العشرية ، الدولة - الطفلة ، الدولة - الطائفة . هذه الظاهرة تعبر ، بالطبع ، عن استبداد ، بل هيمنة ، الميول ما قبل القومية (العشائرية ، الطائفية ، العائلية ، الاقليمية او المحلية) ، كما يوضح ان الوعي القومي

(او القوماوي بصورة ادى) العربي ، الذي بلغ خلال مرحلة
النضال ضد الاستعمار مرتبة الوعي بانتماء سلمي الى الامة
(اي الانتماء الى الامة بدلالة التعارض والتناقض مع الخارج
لحسب) ، لم يرق بعد الى مرتبة الانتماء الايجابي للامة .

تصفية مشروع الدولة - الامة يتجلى ، اولا ، في الانفصال
المترادف بين الحكم والشعب ، وثانيا ، في تنامي الطابع
الاستبدادي التوتاليتاري المحافظ للانظمة العربية ، وثالثا ، في
التوسع المذهل في فساد الدولة ، فسادا لم يعد لا هامشيا ولا
استثنائيا مدلسا ، كما انه فساد ارتدى طابعا سياسيا مملوكيا
اي انه لم يعد مجرد مسألة انحلال اخلاقي ، بل تعبير عن
انفصال الحكم عن الامة .

مع تصفية او تفسيخ الاشتراكيات المختلفة (او النأخراكيات)
لحساب تأخراليات (رأسماليات متأخرة) مركائيلية جمعت
العهد الاستهلاكي الباذخ الى التسلو الذليل على ايسواب
الخيام البثولية ، انبثقت من بيروقراطية الدولة شريحة
جديدة يمكن تسميتها بـ « البيروقراطية العليا » او « بورجوازية
التأخرالية » تحالفت وتمصّلت ودعمت بورجوازية كومبراندورية
سمسارية ، وضعت الدولة والشعب في آن في خدمتها لمحاولت ،
علنا تقريبا ، الدولة الى اداقشعب والشعب الى موضوع
نهب .

الظاهرة الثانية هي التوزيع المالحوظ لسلطان الابديولوجيا

التقليدية السلفية . هذا التوسع الذي بدا واضحا تقريبا منذ هزيمة حزيران . والقطر المصري لا يمثل الحالة الوحيدة ، بل القسوى بحسب . كما ان الصراعات السياسية الطائفية ، المكتومة او المتفجرة ، التي يعانها عدد من الاقطار العربية ، غدت ايدولوجيات طائفية صبت في تدعيم سلطان الايدولوجيات التقليدية السلفية ، فخلخلت هنا او قطعت هناك اللحمة القومية للشعب ، وطرحت مسألة الاقليات نفسها كمسألة ملحة ومتفجرة .

لم تعدم الايدولوجيا التقليدية الظروف الذاتية والموضوعية التي مكنتها من الاستمرار ، فالنقلد ، الشفهي او المكتوب ، ما زال يقدم لكتلة الامة (الريف + المرافة + امي المدن) قذاهما الثقافي ووعياها السكوني المفوت ، رغم الهزات والتغيرات السياسية التي اصابته السطح السياسي للمجتمع العربي . بيد ان الايدولوجيا التقليدية تعيش ، اليوم ، كاستمرار بحسب ، بل هي قد تلتفت دفعا وسع نفوذها وتأثيرها : انها تهاجم وتصد وتكسب اراضي جديدة .

لا شك ان الهزيمة والمآسي والتدهور العربي المتزايد اعطت زخما لهذه الايدولوجيا التقليدية : في ساعات الشدة ، العون الاتي من الله ، الصبر الذي يلهمه ثواب السر على الصراط او جزاء الخروج عنه ، تشكل كلها ضريا من يلسم يقيد في الخروج من الهزيمة ، ضريا من تصعيد ايدولوجي للهزيمة ، يساعد على تحملها ثم نسيانها ، ويلقي الضوء على اسبابها . لكن ، في التجليل الاخير ، هذا التصعيد او البلسم

أو الضوء ليست سوى بعض الأدوات المفهومة للأيديولوجيا التقليدية ، وبالتالي لو أن أيديولوجيا ثورية وحديثة هي السائدة في صفوف الانتلجنسيا العربية لوجهت الهزيمة من زاوية أخرى ، زاوية مستقبلية : تجديد وتحديث عمارة المجتمع العربي .

لعل السبب الأكثر أهمية في تنامي سلطان الأيديولوجيا التقليدية هو تهافت واختلاق الأيديولوجيا والحركة القوميتين العربيتين وكذلك الماركسية العربية الرائجة ، باعتبار أن هزيمة حزيران هي ، بالتحديد ، هزيمتهما ، وأن التجربة « الاشتراكية » التي عجزت عن تجديد وتحديث المجتمع العربي هي ، بالتحديد أيضا ، تجربتهما . والزخم الجديد الذي حرك الأيديولوجيا التقليدية انطلق من الحجة التالية : ما دام « الجديد » قد عجز وفشل ، فلماذا الاستمرار في تجنب طريق السلف الصالح ، طريق التقليد الأصلي الأصيل ؟ والواقع أن الحركة القومية العربية ، رغم تناقضاتها السياسية الحادة مع الحركات التقليدية (حركة الإخوان المسلمين مثلا) ، تشارك الأخيرة ، إلى هذا الحد أو ذاك ، بعض عناصرها الأيديولوجية الماضوية ، اللاعقلانية ، المعتدية ، ناهيك عن ادانتها المشتركة ، انطلاقا من منظورات روحية وإيمانية ، للبرالية والماركسية على حد سواء . هذه العناصر الأيديولوجية المشتركة هي التي تفسر تعاضدهما (وأحيانا تصالحهما) الأيديولوجي المترافق بصراع سياسي مرير : النظام الناصري ، شأن الأنظمة التقليدية الجديدة الإخوي المشابهة ، كان يحصد

الاخوان المسلمين سياسيا ، في حين ان سياسته التعليمية والتربوية كانت تزرعهم ثقافيا وايدولوجيا . هذا الامر يفسر ، بعد ان تراخى الضغط السلطوي عليهم ، كيف احتفظوا ، بل عززوا قواهم الاجتماعية ومواضعهم الايدولوجية ونفوذهم في المجتمع .

وجاء اخيرا دور الايدولوجيا البدوية التقليدية محمولة ، بدلا من على ظهور الجمال ، على ظهور براميل البترول : فالمشعوب العربية غير البترولية ، الاقل تأخرا بنسبة ملحوظة من الشعوب البترولية، تتعرض لعملية ضغط وغزو ايدولوجي وثقافي ، ناهيك عن السياسي ، من قبل الاخيرة .

لا شك ان عوامل عديدة ، داخلية وخارجية ، ايدولوجية وسياسية ، لعبت في عملية تصفية الناصرية في مصر ، بيد ان البترول البدوي ، حامل الايدولوجيا والثقافة البدوين ، لعب دورا رئيسيا في عملية التصفية هذه . ولقد كانت « دولة العلم والايمان » الساداتية باكورة عملية الغزو هذه ، « وجمعية التكفير والهجرة » آخر ثمارها .

الظاهرة الثالثة في هذا العصر تتجلى في ميدان التربية والتعليم بوجه خاص وميدان الثقافة بوجه عام : فمن الجدير بالملاحظة ان الثقافة العربية ، التي كُتبت تتبرعم مع تفلغل تيارات ليبرالية فيها ، لم تلبث ان اخفت ثقل مع تراجع هذه التيارات اولا ، ومع صعود الاستبداد الشرقي ثانيا ، الى ان لفظت انفسها في هذا العصر : الفكر ، المستحق اسمه ، يموت او يهاجر حيث الاستبداد والتوتاليتارية . وتعلم الثقافة

نفسها ونكوم حيث تجد حرية ما : في لبنان مثلا ، بل في
الحارج حيث الالاف من المثقفين العرب منشورين في الجامعات
ومراكز البحث . وشبه الثقافة الباقى ، قسم منه يحمل المياخر
والعسم الآخر يهبط ، بسبب فقدان اي اتصال او تفاعل
حديث مع الثقافة الكونية ، الى المحلوية : ثقافة خردة متحجرة
الى افق صيعة ، مقلد ثقافت كونية ، ثقافت مدن ، تتقدم
وبردمر .

في ميدان التربية والتعليم ، حيث يطمح ويقرر المستقل
العربي ، يتحلى ، على اوضح صورة ، التكامل الايديولوجي
(او النسوية الايديولوجية) الذي قلم بين اتجاه الاحسان
المسلمين والاتجاه القومي ، اي بين التقليدية والتقليدية
الحديثة . هذا التكامل قدم مرهاته الكبر في الحبسه مع
اسرائيل خلال هذا العقد : المجليه العربية - الاسرائيلية هي ،
في اعلى مستوياتها ، مجليه بين المدرسه العربية والمدرسه
الاسرائيلية ، بين الجامعة العربية والجامعة الاسرائيلية .

وهذه بعض الانتطاعات العامة حول الترامج والكتب
المدرسية في اكثر من قطر عربي وان كانت تنسب شبه مسموطة :

١ - عاجزة عن تعليم اللغة العربية تعليميا عصريا يتيسر
للطالب المتدبر على القراءة والكتابة المصوطيين اولا ، ويجعلها
اداة اعلام دقيقه لنقل الثقافة الحديثه ثانيا ، ويزيل الحواجز
بين الفصحى والعليه ثالثا .

ب - تعرض التاريخ العربي ، بحجة جعله اداة قومية ،
مرضا ايديولوجيا ومبتسرا ، يتفكر للحقيقة التاريخية حينما

ويلويها حيناً آخر . هذا الزورار عن الحقيقة التاريخية يعلم الطالب لا عقلانية التاريخ ولا عقلانية الواقع ، وبالتالي ، يزرع اللاعقلانية والرومانسية والاتعلق في وعيه العام . وأخيراً هذه الرؤية الميئزفة للتاريخ مداع تقليداً عربياً قديماً : نلعي الاحساس بالتاريخ ، أي بالطور والسمر ، فنصف بل نلعي ، بالنسبة ، مقولة الواقعي في الوعي .

ج - ندرس العلوم عن نحو لا يساعد على تنمية عقل علمي ، أي « عقل يستطيع أن يقترب أكثر وأكثر من الواقع ، أن يصبع تمثيلاً أكثر فأكثر مطلقه للعالم الذي يحيط بنا ونحن جزء منه ، بعية مهمه أولاً ، ثم للانتقال من المهم إلى التنبؤ (لو التوسع) ومن بعد إلى الفعل » . في مرآتها لا يمكن للطلاب أن يمسك بالعالم الطبيعي ، بما فيه الإنسان ، من حيث مشوئه ، تطوره ، والقوانين التي تحكمه . الطاهرات الطبيعية يبدو أكواماً غير منظومة ، ولا متسقة برابطه مسببه ، ونسبيه الحقيقة العلمية تتحول أحياناً إلى إلهام العقل بالمعجز ، والطاهرات غير الموقعة أو المدهشة ، ذات المظهر الذي لم يمسر بعد ، تقع في حيز أو إطار يقع قبل العلم أو بعده . وبكلمة ندرس العلوم فاقدة إلى هذا الحد أو ذاك نهاجيتها وصراحتها ، ناهيك عن جذرها العلمي العقلاني . هذه الحقيقة تفسر لما يشكل الأخوان المسلمون نسبة كبيرة في القطاع العلمي العربي ، ومنها الكليات العلمية في الجامعات .

د - ندرس التربية الدينية وفق منظورات ماصوبة وطائفية في آن . نخلت الحركة القومية العربية عن مبدأ أساسي من

مبادئ الدولة العمومية ، مبدأ فصل الدين عن الدولة ،
والبالغي عن المدرسة . بيد أن قصور وعيها وماها في تخل
اسد : لو لم تكن آراء مصالحة ايدولوجية (او) ادا شئنا ،
سوية ايدولوجية ، بينها وبين الاحوال المسلمين ، لعبت
على تدريس التربية الدينية من مخطورات مصرية وقومية في آن
منحورة المخطورات المصوية والطائفية للتربية الدينية .

فعلى صعيد تحديث الفكر الديني ، وهو جزء من عملية
تحديث الفكر العربي عموما ، يمكن عمل الشيء الكثير
يجعله مستقبليا ، عمل يساهم في توجيهه نحو حل مشكلات
الانسان العربي الراهنة والمستقبلية ويحافظ في نفس الوقت
على القيم والمثل الدينية . ان عمل تركيب بين القيم الدينية
والمفاهيم العصرية والقومية ليس امرا ممكنا محسب ، بل
ضروري ايضا . ان مهمة عظيمة سطر هؤلاء المثقفين
والمؤمنين المسلمين المستوعبين التراث الاسلامي والمتمثلين
ثقافته ومناهج العصر الحديث : تحديث الفكر الاسلامي وجعله
مستقبليا .

هـ - عاجرة عن ، وعمر مبالية في آن بتعليم اللغات الاجنبية
بحيث يمكن للوحة المتبعة الاستعلاء منها في عملية المناقشة
ونقل المعرفة ، المنظورة والسامية باستمرار ، شتى غروعا ،
الى بلدنا وشعبنا . هذا الواقع يستمد حضوره من الموقف
القوماني من العرب والثقافة الغربية ، ماهيك عن عدم ادراك
تأثير ذلك على تدني مستوى التعليم الجامعي وعلى المستوى
الثقافي والتقني للبلد وتدهيطة الى مستوى محلي ، الى

مستوى صباه ، ولينقل الى مستوى كتابي ، قياسا بالمستويات الثقافية للبلاد المقدمه . لساعات الاحصيه هي مركبها او مناسا الى الثقافة الكويتيه والمعمره العصريه . ويستقى ، بوصفها شعبا معاصري حانه بحر وموات - بحاحه ملحة اليها لامد طويل طويل .

في الدول العربيه غير المتروليه اصناف العامل المالي ، يمثل في بعض النقطات للاربعه ساعه ، الى تلك العوامل الثقافيه التي ذكرها ، مدفع المستوى المعاصر لسعيهم الى تدهور مريد ، وانقى بسبه الامه براوح في مكانها في قطر ومريد في قطر آخر .
١- الشخص المراد في الانبياء المدرسيه ، وبالتالي التحلي عن اليوم الدراسي الكامل وبمعنى الطلاب الى وحده بلغت ثلاثا احيانا .

٢- نقص تاهيل المدرسين ، بل قل اعدامه بنسب واسعه .

لقد تصافرت لامرار هذه الظاهره عوامل عديده :

أ- ركود او تراخي متوسط الدخل القومي للمرد .

ب- ارتفاع نسبة الانفاق العسكري .

ج- الانحجار الديمغرافي والارتفاع الكبر في نسبة الاولاد

في سن الدراسة الى مجموع السكان .

الجامعة العربيه تدهور ، هي الاخرى ، تيلها محامعات

البلاد المقدمه ، الى مستوى مدرسة ثانويه . بعض اهم

اسباب هذه الظاهره :

١. تراجع الفكر الليبرالي وبسطه الفكر المحافظ أو
المتشدد على الفكر الحامي .

٢. عدم نشوء جناح البحث العلمي . أى عدم يكون ظاهرة
« لرهبنة العنيفة » بل أن اللعب الحامي أصبح ، في حالات
عديدة ، مصدراً لدخل « كويراندوري » .

٣. انفصال الجامعة عن المجتمع وعدم ربط أهداف التعليم
الحامي بتحديث تصور المجتمع .

٤. عدم أملاك « امركة » اللغوية ، وهذا يصدق على
الطلاب كافة وعلى نسبة غير بسيطة من الحسم التعليمي .

٥. التراجع المذهبي في المستوى التعليمي والمهني للحسم
لتعليمي الحامي - بسبب حشر النسله والجهلة ، لأسباب
سياسية وحزبية وصناعية - في عهد الحسم .

٦. اتوسع الذبائح في التعليم الحامي ، المستند
بدوره إلى تعميم أمثالي وبسوى حد معين . هذا التوسع ،
الذي هبط إلى مستوى مدعى نسبة الأستاذ إلى الطلاب ،
لم يعد يهدف إلى رفع المستوى التعليمي للمجتمع ولا سبيله
حاجات تطور الاقتصاد . بل أعطى أعضاء شهادات بشكل
صرى من امتيازات بلا استحقاق على حساب المجتمع .

الظاهرة الرابعة - سخر الانتولوجيا منخله في ظاهره
الانتقال إلى عهد ملوث الصوغه . حيث تم بعد التجربة أمراً
وأمراً مضطرباً ، بل شرعي أيضاً . لا شك أن المحاوله
الوحدوية الباصرية كشفت عن عوه المبنى الحزبية والمصالح
التي أمررها والانتولوجيا التي صاغها . كما كشفت عن

قصور ورومانسية الوعي الوجدوي . إلا أن هذه المحاولة وصفت العرب في عصر الوحدة ، أي أنها انتزعت شرعية المشروع الوجدوي ، وبالتالي ، وسعت الاحتمالات الوجدانية وحركت وعرب الميول الجائنة إلى المركز ، ومرت شرعية الميول النائدة عن المركز وحاميتها . هذا الحذر الوجدوي هو بظاهرة من تظاهرات الجذر العام الذي أصاب حركة النهضة العربية . لذا من الطبيعي أن تكون هذه المرحلة مرحلة استنقاع اقليمي . لكن من الواضح أن السراج على الحبه الوجدانية هو أكبر التراجعات ، وذلك لأن المشروع الوجدوي ، بغياب عبد الناصر ونزع الناصرية كمؤسسة ، أصبح يفون ماعدة . أي بدون القطر - المركز . أو القطر - المحور للعملية أو للضرورة الوجدانية . بظاهرات السراج الوجدوي كثيرة . الملمب والمذهل منها هو النزوع الاقليمي الذي لا لحظه فيه لدى الحركة الناصرية الفلسطينية (حارح الضفة العربية وقطاع غزة) الصاعدة مع هزيمة حزيران . ثم انتقال قوى بسبب نفسها إلى القومية العربية من رومانسية وحدوية إلى اقليمية صميه مقاتلة .

بالمقابل . أن صعوداً جديداً في حركة النهضة والنشور العربيين سينجلي ، على الأرجح ، في حركة صعود على الجبهة الوجدانية . من هنا مثل القوى الثورية الوجدانية سيبقى تعبر المشروع الوجدوي جزءاً من مشروعها الثوري . عملية اصاح الوعي الوجدوي لا يمكن أن تنصل عن عملية اضاح الوعي الثوري العلم ، ومثيكلات التوحيد العربي

جزء ، بل جزء بالغ الأهمية ويبلغ التعقيد في آن ، من مشكلات
بناء عمارة جديدة للمجتمع العربي .

وما دام المشروع الوحدوي جزءا من المشروع الثوري
العربي ، فستبقى قوى التغيير ضد كل النزعات الإقليمية وضد
سائر أشكال وبنى التجزئة : بوصفها وقائع واتجاهات
مناقضة لسيرونة النهضة العربية بوجه عام وبناء الدولة
القومية العربية الموحدة بوجه خاص . ولأن الوعي الوحدوي
المطابق لتظاهرة فرعية من تظاهرات الوعي الثوري العام
المطابق ، فإن قوى التغيير ستنبذ أيضا ، فضلا عن الإقليمية
والتجزئة ، الوعي القوماني الرومنسي ، الذي عجز تارة وانزل
الأضرار تارة أخرى بقضية الوحدة العربية . على قوى التغيير
أن تعمل ، بلا كلل ، للقبض على وعي وحدوي مطابق ، أي
وعي وحدوي واقعي - ثوري ، يسهل ويخدم الفعل الوحدوي .

الظاهرة الخامسة لتأثير الإيديولوجيا المتخلفة هي التدهور
المتراد للمدينة العربية ، سواء من الناحية الاقتصادية
والعمرانية أم من الناحية الثقافية والفكرية . خلافا للمدينة
العربية ، التي تطورت فكريا وسياسيا واقتصاديا وعمرانيا
بصورة وثيدة ومنظمة ومقسمة كمركز صناعي ، توسعت
المدينة العربية توسعا مذهبلا ، لا عقلانيا ، فوضويا ، بتأثير
عوامل عديدة ، أهمها :

(١) التزايد الانفجاري في عدد سكانها (٥ - ٦ ٪ سنويا) .

(٢) الفزوح الطوفاني من الريف إليها .

(٣) التضخم المفرط في الأجهزة الإدارية والعسكرية وتركزها في المدن .

يتجلى الطابع المأساوي لهذا النمو ، إذا تفكرنا ، مثلا ، ان خمس سكان مصر يعيشون في القاهرة ، التي ستصبح ، وحدها ، العام ٢٠٠٠ ، أي بعد ٢٢ سنة ، ٢٨ مليون نسمة . هذا التضخم الطفيلي غير المصحوب بتقدم اقتصادي متناسب ، في الاقطار غير البترولية بخاصة ، يوسع نسبة مساحات أحياء براكات التلك والطين ، أحزمة البؤس ويؤثره ، التي تبلغ نسبة مساحاتها اليوم بين ٢٥ و ٦٠ بالمئة من المساحة الكلية للمدن العربية الرئيسية ، والتي لا يتوفر فيها لا كهرباء ولا ماء ولا مجاري ، ناهيك عن وسائل المواصلات والخدمات الصحية والابنية المدرسية .

اضف الى ذلك ، وهذا هو الآخر الأكثر مأساوية ، ان العمران في المدينة العربية ، التي قامت في الاصل على اشربة من الارض اما ساحلية او نهريه او في واحات ، اخذ يأكل كالجراد ، هذه الاشربة او الواحات : يأكل الأخضر ، يصحرن الارض . من هذه الزاوية ، المدن العربية تترقب ، تترث ، تقدر تتصحرن ، وتخلطها يتقدم من التخلط الكثافي الى التخلط التسولي .

بيد ان تريف المدينة العربية هو الظاهرة الأبرز والأشد شؤما . هنا تطورنا كان « أصيلا » . في القرب ، كان انتصار الحضارة الحديثة بمثابة انتقال للمدينة على الريف ، ومن ثم مدن الريف . المدينة أصبحت الموعد الثقافي والاجتماعي

والاقتصادي والسياسي للحياة القومية . سرور الطصور
العربي اخذت ، من حيث الجوهر ، أنجاها معاكسا : المدينة
العربية ليست قرية تمت ، تقدمت ، انتعشت ، انقلت ، بل
قرية انداحت عمرانيا فحسب ، فقدت ميزات القرية التقليدية
ولم تكسب صفة المدينة العصرية . حيث يخيم الاستبداد
الشرقي ، تزول كل مظاهر الحياة الفكرية والثقافية والسياسية
(وايضا ، الاجتماعية ، بسبب الموقف من المرأة) . ركود
وصمت مقبرة من جانب وصخب مكتوم في قصور ماجنة من
جانب آخر . ويذوي عقل الامة في العطالة او يهاجر او يتعبر .

انطلاقا من هذه الحقائق المريرة التي يعانيتها مجتمعاتنا
العربي ، لا يسعني الا القول انه « المطلوب الا يمنح العرب
لحظة واحدة من الوهم والخنوع ، الخشوع والاستسلام ، انما
يجب جعل التأخر والاضطهاد الفاتمين اشد وطأة بان نضيف
اليهما وعي التأخر والاضطهاد . يجب ان نجعل العار اشد
شينا وقبحا بنشره على الملأ » يجب ان تعلم الشعب الذعر
من واقعه كي نعطيهِ الشجاعة لخاربه هذا الواقع » .

الشيخ الميرزا

في إطار سلسلة الندوات التي ينظمها الديمقراطيون
العلمانيون التي هذه المحاضرة الاستاذ اسد غندور
بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٨ .

انطلاقاً من هذه الحقائق المبررة التي يعانيها مجتمعنا
العربي ، لا يسعني الا القول انه « المطلوب الا يمنح العرب
لحظة واحدة من الوهم والخنوع ، الخشوع والاستسلام ، انما
يجب جعل التأخر والاضطهاد القائمين اسد وطاة بان نضيف
اليهما وعي التأخر والاضطهاد . يجب ان نجعل العار اسد
شينا وقبحا بنشره على الملا . يجب ان نعلم الشعب الذعر
من واقعه كي نعطيه الشجاعة لمحاربة هذا الواقع » .

